
6
قصص
المبشرون
بالجنة
رجل السخاء
والعطاء
سلوى العنانى
دار اللطائف

رجل السخاء والعطاء

(عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ)

دخل النبىُّ عليه السلامُ (يثربَ) مُحاطًا بالتّرحابِ من أهلِها - الأوسِ والخزرجِ - ومن السابقين من المهاجرين الذين كانوا قد دخلوها قبلَ وصولِ النبىِّ .

وكان من الضرورىِّ أن يتمَّ تنظيمُ هذا المجتمعِ حتى تستقرَّ الحياةُ .. فكيف يكون حالُ هؤلاءِ الذين هاجروا مع النبىِّ تاركين أموالَهُم وديارَهُم .. وأحيانا زوجاتِهم ؟ كيف تسيرُ حياتُهم ؟

وتظهر حكمةُ النبىِّ عندما آخى بين المهاجرينَ والأنصارِ ، فالأنصارُ مستقرونَ فى مدينتهم .. لهم بيوتُهم وزوجاتُهم .. لهم زراعتُهم ولهم تجارتُهم .. عندهم الإبلُ والأغنامُ والخيلُ .. فليقتسم كل مسلم من الأنصار ما عنده

من خيرٍ مع مسلمٍ من المهاجرين .. وهكذا تتوكّـد الوحـدةُ بين عنصرى المجتمعِ الجديدِ، وتزدادُ الأواصرُ تماسكًا ..

آخى النبىُّ بينَ (عبدِ الرحمن بنِ عـوفٍ)، و (سـعدِ بـنِ الربيعِ) وكان هـذا الأخيرُ من أكثرِ أهـلِ يثربَ مـالاً .. فعرض على (عبد الرحمنِ بنِ عوفٍ) أن يقاسِمَهُ فى كـلِّ مـا يملكُ ..

قـال سـعدُ: أُقاسِـمُك مـالى نصفـين وأزوِّجـك. لكـن (ابن عوفٍ) شكرهُ واعتذر عن عدم قبولِ عرضهِ، وطلـب أن يدلَّه على طريقِ السُّوقِ .. وهنـاكَ اشـترى وبـاعَ وربـحَ وعاش من عملِ يدهِ ..

فمن هو (عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ).

هو واحدٌ من السابقين الأولين إلى الإسلامِ، فهو أحـدُ الثمانيةِ الأوائلِ الذين آمنوا بمحمدٍ نبيا ورسـولاً، وواحـدٌ من الخمسةِ الذين آمنوا على يد أبى بكـر، وأحـدُ الستةِ

أصحابِ الشورى الذين أوْكلَ إليهم الخليفَةُ عمرُ بنُ الخطابِ رضى الله عنه أن تكونَ الخلافَةُ فيهم مِن بعدِهِ .

عانى (عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ) من اضطهاد قريشٍ وقسوتِها ما عاناه إخوانُه المسلمون الأوائلُ ..

هاجر (ابن عوف) إلى الحبشة مرتين فرارًا بدينه .. ولما عاد لازم النبيَّ حتى هاجر معه إلى (يثربَ) .

بسم الله الرحمن الرحيم

{وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا}

[النساء : 100]

لقد اشترى (عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ) رضا الله ورسولِهِ وباع تجارتَه التى صادرها مشركو قريشٍ .. وبدأ مرة أخرى من الصفر بعد هجرته إلى المدينةِ ..

توجَّه إلى سوق (بن قَيْنُقاعٍ) وهناك باع واشترى وربح ثم تزوج من عملِ يدِهِ ..

سأله الرسول ﷺ : "تزوجتَ" قال : "نعمْ" .. قال الرسول : "ومَنْ؟" .. قال : "امرأةً من الأنصارِ" .. فسأله النبيُّ "كمْ سُقتَ؟" .. أي كم دفعتَ مهرًا؟؟" .

قال : "نواةً من ذهب" .. قال النبي : "أوْلِمْ ولو بشاة" ..

كان (عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ) تاجرًا ماهرًا ، جعله ذكاؤه يختار الوقتَ والمكانَ المناسبَ دائما لتجارته .. فقال عنه البعضُ : إنه إنسان محظوظٌ .. وحتى قال هو عن نفسِه : (لقد رأيتني ، لو رفعتُ حجرًا ، لوجدتُ تحته فضةً وذهبًا) ..

لكنه الذكاءُ .. والرضا .. والسعيُ الدءوبُ .. والبعدُ عن الاحتكارِ والمضاربةِ .. والاتجاهُ بالعملِ لوجهِ الله عزّ وجلّ ..

حكى عنه معاصروه فقالوا :

- "إذا لم يكن ابنُ عوفٍ فـى المسـجدِ يصلّـى فـهو فـى غزوةٍ فى سبيلِ اللهِ أو تجارةٍ" .

وكانت قوافله تجوب الشامَ ومصرَ واليمنَ ، ثم تعودُ إلى المدينةِ تحمل الكساءَ والطعامَ وكـلّ مـا يلـزمُ حيـاةَ النـاسِ هُناك ..

سمع (عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ) يوما رسولَ اللهِ يقول له :

"يا بنَ عوفٍ إنك من الأغنيـاءِ ، وإنـك سـتدخلُ الجنـة حبوًا .. فأقرضْ الله يطلقْ لك قدميكَ" ..

ومن ساعتِها .. و (عبدُ الرحمنِ) يسابق نفْسَهُ فى العطـاءِ فيجهّزُ الحملاتِ العسكرية ويطعمُ الناسَ ..

لم يكن جشِعًا ولا طمّاعًا ، بل كان قانِعًا راضيًـا .. إذا مـا أعطاهُ اللهُ خيرا وزّعه على أهلِ (بنى زُهـرة) وعلـى فقـراء المسلمين .. بل أغنيائهم أيضا .

باع (ابنُ عوفٍ) يومًا أرضًا وقبـض ثمنـها أربعـين ألـف

دينارٍ .. فماذا يفعلُ بهذا المالِ ؟ .

لقد وزّعه علـى أهلـهِ وعلى فقـراءِ المسلمين ، وعلى أمهاتِ المؤمنين .

ولما حضره الموتُ أوصى بخمسين ألـف دينـارٍ فـى سـبيل الله ، كما أوصى بأربعمائة دينارٍ لكل مـن بقـى على قيـد الحياةِ ممن شهدوا موقعةَ (بدرٍ) ـ وكانوا مائةً ـ يومها ترحـم عليه عليٌّ (كرم الله وجهه) وقال :

(اذهب يـا بـن عـوف ، فقـد أدركـت صفوهـا وسـبقت زيفها) .

وكان (عثمانُ بنُ عفان) ممن أخذ نصيبَه يومها مـن هبـةِ (ابنِ عوفٍ) رغم ما عرف عنه من الثراءِ ..

قال (عثمانُ) يومَها :

"إن مال (عبد الرحمنِ) حلالٌ صفـو ، وإن الطعمـةَ منـه عافيةٌ وبركةٌ" .

كان عند (عبدِ الرحمن بنِ عوفٍ) ثمانيةُ آلافِ درهمٍ فأمسكَ منها أربعةً لنفسه وعيالِهِ .. وقدم الباقي لله ورسولِه .. فقال له النبيُّ عليه السلامُ :

"بارك الله لك فيما أمسكتَ وفيما أعطيتَ" .. ثم نزلتْ الآيةُ الكريمةُ تقول :

{الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلاَ أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة : 267] .

يُروى أن المدينةَ استيقظتْ يومًا على قافلةٍ ضخمةٍ تزحم طُرقاتِها .. وتهزّ جنباتها .. ولم يكنْ لهذه المدينةِ الهادئةِ عهدٌ بمثل هذه القوافلِ الكبيرةِ .. وتساءل الناسُ فيما بينهم فعرفوا أنها تجارةٌ لعبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ راجعةٌ من الشام ..

وعلمَتْ (عائشةُ) أُمُّ المؤمنين بخبرِ هذه القافلةِ فتذكرتْ قولَ رسولِ الله (يابن عوفٍ إنك من الأغنياءِ وإنك ستدخلُ

الجنة حبوا .. فأقرضْ الله قرضًا حسنًا) ...

وردَّدتْ أمُّ المؤمنين قولَ رسولِ الله فنقل البعضُ حديثَها إلى (عبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ) فاتجه لفوره إليها، وقال ..

"لقد ذكرتنى بقول لم أنْسَهُ ..

إنى أشهدك أن هذه القافلةَ بأحمالها وأقتابها وأحلاسها، فى سبيل الله عزّ وجلّ" ..

وبرّ الرجلُ بما قال ..

وتم توزيعُ حمولةِ القافلةِ كلِّها على أهلِ المدينةِ وغيرِهم من المسلمين ..

سبعمائةُ بعيرٍ تحملُ من الخيراتِ ما لا يستطيعُ أحدٌ أن يُحصيَه أو يعدَّه يقدِّمها (ابنُ عوفٍ) فى سبيلِ الله ..

لقد تمنى الصحابىُّ الجليلُ أن يدخلَ الجنةَ عَدْوا كما وعد النبىُّ بذلك غيره من السابقين للإسلام فأقرضَ الله قرضا حسنا، وجاد بمالِه عن طيبِ خاطرٍ ..

نموذجٌ للسخاءِ والعطاءِ ..

نذر (عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ) تجارتَه وأرباحَها لله .. فأعطى فى سبيلِ الله وأطعم الفقراء .. تحرّى الحلالَ وابتعد عن الشبهاتِ فزادتْ تجارتُه وربت ، وبارك الله له فيها ـ وكان فى ماله حقٌّ معلومٌ .. لأهلِه وإخوانه .

لم يكن ثراءُ عبد الرحمنِ بنِ عوفٍ من الأمورِ التى تجلبُ له السعادةَ أو راحة البالِ .. على العكس كان هذا الثراءُ سببًا فى قلقهِ الدائمِ .. فقد كان يخشى أن يكونَ هذا الخيرُ العاجل سببًا فى تأجيل خيرِ الآجل .. وهو أحرص على الأخيرِ حرصه على أغلى ما يتمنى .

يروى عن (عبدِ الرحمن بنِ عوفٍ) أنه جلسَ يوما ليُفطِرَ بعد صيامٍ ..

فلما قُدِّم له الطعامُ بكى وامتنع عن الأكلِ وقال :

"استشهد (مصعبُ بنُ عميرٍ) وهو خيرٌ منّى فكفِّن فى

بردةٍ إن غطّت رأسه بدتْ رجلاه ، وإن غطت رجليه بــدت رأسُه ..

واستشهد (حمزةُ) وهو خيرٌ منّى فلم نجدْ له ما نكفّنهُ فيــه إلا بردةً ..

ثم بُسط لنا من الدنيا ما بُسط وأُعطينا منها ما أُعطينــا ، وإنى لأخشى أن نكون قد عُجّلت لنا حسناتنا" ..

وكان ابن عوف كثيرا ما يبكى ويقول :

"لقد مات رسولُ الله عليه السلامُ وما شـبع هـو وأهـلُ بيته من خبز الشعير .. وما أرانا أُخّرنا لما هو خيرٌ لنا" ..

وكان يخشى دائما أن يكونَ ممن يُقال لهم يومَ القيامة :

بسم الله الرحمن الرحيم

{أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ} [الأحقاف : 20] .

... هكذا لم ينس (عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ) الآخرةَ ساعة ابتسمتْ له الدنيا، بل كان دائمَ الذّكر ليومٍ لا ينفعُ فيه إلا العملُ الصالحُ .. زهِدَ عن المناصب وابتعد عنها حتى لا تغريه الحياةُ وتنسيه منهجَه فى الحياةِ ..

العطاءَ .. العطاءَ .. ولأجلِ الله ورسوله ..

لم يكن الجهادُ بالمالِ هو كل جهادِ عبدِ الرحمنِ بن عوفٍ بل كان جهادُه بالقتال فى سبيلِ الله مشهودًا .

فى غزوة أحدٍ أُصيب ابنُ عوف بعشرين إصابة تركت إحداها فى ساقه عرجا دائما .. كما سقطتْ إحدى ثناياه (أسنانه الأمامية) فتركت عيبًا فى نطقه ..

وأحسبها أوسمةً تلك التى حملها ابنُ عوفٍ فى ساقِه وفى أسنانِه ظلت تُشهد العالمَ على عطاءِ هذا الرجلِ وشجاعته ..

عاش ابنُ عوفٍ حياته قريبا من النبى عليه السلام فلما

قُبض .. عاش إلى جوار أبـى بكـر ثـم عمـرَ بـنِ الخطـابِ واحدًا من مستشاريهما وأصحابِ الرأى معهما .

وقبل أن ينتقل ابـن الخطـابِ إلى جـوار ربـه أوصـى أن تكونَ الخلافةُ من بعدِهِ بين ستةٍ من خيرةِ صحابَة رسولِ الله عليه السلامُ وكانَ (ابنُ عوف) واحدًا منهم .

واتجهت الأنظـارُ أول مـا اتجـهت إليـه .. إلا أنـه قـال .. "والله ، لأن تُؤخذ مدية(*) ، فتوضع فى حلقى ، ثم ينفذ بها إلى الجانب الآخر أحبُّ إلىَّ من ذلك" .

هكذا رفض (عبدُ الرحمـن بـنُ عـوف) أن يتـولى إمـارةَ المؤمنين بعد (عمر بـنِ الخطـابِ) واعتبرهـا مسـألة قاسـية عليه .. مستبعَدَة كل الاستبعاد عن تفكيره .. فهو زاهدٌ فـى المناصبِ راغبٌ عن الخلافةِ .

فلما سمع الإمامُ (علىٌّ) (كرم الله وجهه) منه هذا الرفضَ

(*) المدية : الخنجر الصغير أو المطواة .

قال له : "لقد سمعتُ رسول الله عليه السلامُ يصفك بـأنك أمينٌ فى أهلِ السماءِ ، وأمينٌ فى أهل الأرضِ " ..

وأصر (ابنُ عوفٍ) على رأيه فأوْكل الخمسة الآخرون له مهمة اختيار الخليفةِ .

واختار (ابنُ عوفٍ) من بينهم (عثمانَ بنَ عفانٍ) ليكون خليفةً على المسلمين .. ووافق الجميعُ على رأيهِ .

فى العام الثانى والثلاثين للهجرةِ .. جـاد (عبـد الرحمـن بن عوف) بأنفاسه الأخيرةِ .. صعدتْ رُوحه إلى بارئها وهو راضٍ عما قدّم للحياةِ من جهادٍ بالنفسِ والمالِ .

